قراءات في "كتاب الإيمان"
لشيخ الإسلام أحمد ابن تيميّة (1)

بقلم الشيخ ؛ محمّد القرشي

إنّ الحمد لله نحمده، ونصلّي ونسّلم على خير خلقه وآله وصحبه.

أمّا بعد:

فهذه سلسلة جديدة من سلسلة التوحيد الخالص، اتّجهت فيها إلى كتاب عظيم من كتب شيخ الإسلام أحمد بن تيميّة، وهو كتاب الإيمان [1]، وسمّيتها «قراءات في كتاب الإيمان»، سائلاً المولى عزّ وجلّ أن ينفع بها من كتبها وطبعها وقرأها... آمين.

قال الإمام الشيخ أحمد بن تيميّة رحمه الله رحمة واسعة: (إعلم أنّ «الإيمان والإسلام» يجتمع فيهما الدين كلّه، وقد كثر كلام الناس في «حقيقة الإيمان والإسلام» ونزاعهم واضطرابهم، وقد صنّفت في ذلك مجلّدات؛ والنزاع في ذلك من حين خرجت الخوارج بين عامّة الطوائف).

قال مقيّده عفا الله عنه:

والظاهر من كلام شيخ الإسلام رحمه الله، أنّ الأمّة المحمّدية كانت كلّها تدين الدين الحقّ، وتنهج النهج السليم، حتّى ظهرت فرقة الخوارج، تلك الفرقة المارقة التي خرجت عن الأمّة بفكر مبتدع جديد، يبيح لها دماء أهل الإسلام، وأموالهم وأعراضهم، ويتركون أهل الأوثان في أمان وسلام. وهذه نقطة مهمّة وفيصل بين الخوارج والبغاة الذين يخرجون على الخليفة أو السلطان الممكّن دونما عذر شرعيّ. فقد ظهر في هذه الأيّام من يقول بغير علم أنّ كلّ من دعا إلى الخروج على السلطان فهو خارجيّ، وهذا خطأ، فإنّ الخوارج كان سبب خروجهم هو دين جديد أدخلوه على الإسلام، يبيح لهم تكفير المخالف واستباحة دمه وغير ذلك من البدع الضالّة، فمن اعتقد هذه الاعتقادات خرج بالسيف أو لم يخرج كان من الخوارج، ومن لم يحمل مثل هذه الأفكار الباطلة الضالّة وخرج

---

[1] كتاب الإيمان هو الجزء السابع من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم.

بالفعل، حمل السلاح ضـد السـلطان المسـلم لشـيء فـي نفسه أو لظلم رآه من السلطان كمـا فعـل بعـض السـلف، كخـروج الصـحابيّ الجليـل عبـدالله بـن الزبيـر أو خـروج الصحابيّ الجليل ابن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم الحسين بن علي، وكخروج القـرّاء وفيهـم الشـعبيّ وسـعيد بن جبير وغيرهم من الأئمّـة مـع عبـدالرحمن بـن الأشـعث. فهؤلاء لم يصفهم أحد بأنّهم خوارج لمجـرّد خروجهـم علـى الإمام الممكّن، فتنبّه لهذا فإنّه كنز ثمين.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (ونحن نـذكر مـا يُسـتفاد من كلام النبيّ صلى الله عليه وسلم مع ما يستفاد من كلام الله تعالى، فيَصل المـؤمن إلـى ذلـك مـن نفـس كلام اللـه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، فإنّ هذا هـو المقصـود. فلا نذكر كلام الناس ابتداءً؛ بل نذكر من ذلـك - فـي ضـمن مـا يستفاد من كلام الله ورسوله صلى اللـه عليـه وسـلم - مـا يبيّن أنّ ردّ موارد النزاع إلى اللـه سـبحانه وإلـى الرسـول صلى الله عليه وسلم خيـرٌ وأحسـن تـأويلاً، وأحسـن عاقبـة في الدنيا والآخرة).

قال مقيّده:

فقد أبان شيخ الإسلام رحمه الله منهج أهل السنّة فـي الاستدلال متّبعاً طريقة القرآن الحكيـم والسـنّة المطهّـرة. فعلى طلاّب الهدى، يـادئ ذي بِـدْء أن يبـدؤوا بطلـب العلـم الصحيح من الكتاب الذي لا يأتيه الباطـل مـن بيـن يـديه ولا من خلفه والسـنّة الصـحيحة الموضـحة الشـارحة والمبيّنـة والمخصّصة والمقيّدة لكتاب الله سبحانه.

فنحن اليوم بأمس حاجة إلى طرق القلوب الغافلة إلى هذه الحقيقة الكبرى، المنقذة من الضلال، مـن أيـن نبـدأ؟! وكيف نستدلّ؟!

إذ دعوى الانتساب إلى الكتاب والسنّة، دعوى عريضة، ولكنّ الذي تُصدِّق دعواه عمله، ويصدّق قوله فعله، هو ذاك الـذي ينتصـب تلميـذاً متواضـعاً بيـن يـدي الكتـاب والسـنّة فينهل منهما، ويجعلهما الإمامان القائـدان لـه... لا أن يقعّـد من عند نفسه قواعد يجعلها منهاجاً له، ثمّ يستدلّ لهـا مـن الكتاب والسنّة، فإنّه عند ذلـك لا ينتصـر لكتـاب اللـه وسـنّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، بل ينتصـر لقواعـده العقليـة وهواه الذي لن يقوده إلى خير قط.

وأقرب مثالٍ على ذلك الذي أثبتناه، هو ما نحـن وشـيخ

الإسلام بصدد الحديث عنه وهي مسألة الإيمـان وإلـى كـم فرقة خرج الناس فيه عن المفهوم الصحيح. وكلّهـم يزعـم الاستدلال بالكتاب والسنة وهم أبعد ما يكونوا عن ذلك.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: (فنقول: قد فـرّق النـبيّ صلى الله عليه وسلم في حديث جبريـل عليـه السـلام بيـن مســمّى «الإســلام» ومسّــمى «الإيمــان» ومســمّى «الإحسان». فقال: «الإسلام: أن تشهد أن لا إلـه إلاّ اللـه، وأنّ محمّـداً رسـول اللـه، وتقيـم الصـلاة، وتـؤتي الزكـاة، وتصـوم رمضـان، وتحـجّ الـبيت إن اسـتطعت إليـه سـبلاً». وقال: «الإيمـان: أن تـؤمن بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسـله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشرّه».

و«الفـرق» مـذكور فـي حـديث عمـر الـذي انفـرد بـه مسلم، وفي حديث أبي هريرة الذي اتّفق البخاري ومسـلم عليه، وكلاهما فيه: أن جبريل جاءه بصورة إنسـان أعرابـي فسأله، وفي حديث عمر: أنّه جاء في صورة أعرابيّ.

وكذلك فسّر «الإسلام» في حديث ابن عمر المشهور، قال: بُني الإسلام علـى خمـس: شـهادة أن لا إلـه إلاّ اللـه، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحـج البيت وصوم رمضان».

وحديث جبريل بيّن أن الإسلام المبني على خمـس هـو الإسلام نفسه، ليـس المبنـي غيـر المبنـي عليـه، بـل جعـل النبيّ صلى اللـه عليـه وسـلم الـدين ثلاث درجـات: أعلاهـا الإحسان وأوسـطها الإيمـان ويليـه الإسـلام، فكـلّ محسـن مؤمن، وكلّ مؤمن مسلم، وليس كلّ مؤمن محسناً ولا كلّ مسلم مؤمناً، كمـا سـيأتي بيـانه -إن شـاء اللـه- فـي سـائر الأحاديث.

كالحديث الذي رواه حماد ابن زيد، عن أيّوب عـن أبـي قلابة عن رجل من أهل الشام عن أبيه عن النبيّ صلى اللـه عليه وسلم قال له: «أسلم تسلم. قـال - أي الرجـل- ومـا الإسلام؟ قال صلى الله عليه وسلم : أن تسـلم قلبـك للـه، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك. قال: فأيّ الإسـلام أفضل؟ قال صـلى اللـه عليـه وسـلم : الإيمـان، قـال: ومـا الإيمـان؟ قـال: أن تـؤمن بـالله وملائكتـه وكتبـه ورسـله وبالبعث بعد الموت. قال: فأيّ الإيمان أفضـل؟ قـال صـلى الله عليه وسلم : الهجرة. قـال: ومـا الهجـرة؟ قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم : أن تهجـر السـوء. قـال: فـأيّ الهجـرة أفضل؟ قـال صـلى اللـه عليـه وسـلم : الجهـاد. قـال: ومـا الجهاد؟ قال صلى اللـه عليـه وسـلم : أن تجاهـد -قـال- أو تقاتـل الكفّـار إذا لقيتهـم، ولا تغلـل، ولا تجبـن». ثـمّ قـال رسول اللهصـلى اللـه عليـه وسـلم : «عملان همـا أفضـل الأعمال، إلاّ من عمل بمثلهما -قالها ثلاثاً-: حجّة مـبرورة أو

عمرة» [2].

ولهذا يذكر هذه «المراتب الأربعة» فيقول: «المسـلم من سلم المسلمون من لسـانه ويـده، والمـؤمن مـن أمنـه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجـر السـيّئات والمجاهد من جاهـد نفسـه للـه». وهـذا مـرويّ عـن النـبيّ صلى الله عليه وسلم في حديث عبدالله بـن عمـر وفضـالة بن عبيد وغيرها بإسـناد جيّـد وهـو فـي السـنن وبعضـه فـي الصحيحين. وقد ثبت عنه من غير وجه أنّـه قـال صـلى اللـه عليه وسلم : «المسـلم مـن سـلم المسـلمون مـن لسـانه ويده، والمؤمن من أمنه النـاس علـى دمـائهم وأمـوالهم». ومعلوم أنّ مـن كـان مأمونـاً علـى الـدماء والأمـوال؛ كـان المسلمون يسلمون من لسانه ويـده، ولـولا سـلامتهم منـه لما ائتمنوه).

ولا يزال شيخ الإسلام يقدّم الـدليل تلـو الـدليل، ليـبيّن المسألة ويحقّق المناط، ويزيل الارباط والعقد عـن عقـول صدأت بالقيل والقال، وصُدّت عن السبيل، قبل أن يخـوض الشيخ رحمه اللـه ورضـي عنـه معهـم فـي إبطـال بـاطلهم وإثبـات أن منهـج أهـل الحـقّ والصـواب، أهـل السـنّة والجماعـة، هـو المنهـج الـذي يجـب علـى النـاس سـلوكه، واتّباعه، شرعاً وعقلاً وفطرةً، والله وليّ التوفيق.

وإلى لقاء قادم نكمل فيه الحديث عن الإيمان وحقيقته وموقف الناس منه.

عن مجلة نداء الإسلام

---

[2] رواه أحمد ومحمد بن نصر، وهـو صـحيح بمجمـوع طرقـه واختلاف ألفاظه.

تم تنـزيل هذه المادة من منبر التوحيد والجهاد

http://www.tawhed.ws
http://www.almaqdese.com
http://www.alsunnah.info